

# الفصل الاول

## تمهيد



## الفصل الاول

### تمهيد

#### تمهيد:

أكد فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦م) على أهمية دراسة التقاليد أى نقل التراث الثقافى من جيل إلى جيل، لأن التربية من الوجهة النظرية الاجتماعية الحديثة ما هى إلا ذلك المجهود الذى يبذل بقصد المحافظة على استمرار التقاليد العامة وتميمتها، وما دام العقل الاجتماعى أو هذه التقاليد العامة أو خلاصة الخبرة البرية لا وجود لها إلا فى عقول الأفراد فليس من الممكن الاحتفاظ بهذا الاستمرار ولا ضمان لذلك النمو إلا بإعداد النشى، تدريجياً لهم التقاليد الجمعية بوجه عام وتدريب بعض العقول لتقبل النواحي الخاصة الراقية من هذه التقاليد ومن غير وراثه الخبرات البشرية لنشاط الفرد فى الأوساط الاجتماعية يصبح الفرد فكرة لا قيمة له .

وتكمن مشكلة التربية فى عملية نقل عناصر الثقافة والحياة الاجتماعية فى الماضى للأجيال الجديدة لما لها من قيمة فى إعادة تشكيل الخبرات الجديدة ولأهميتها فى إبراز عملية التطور الحادث للجنس البشرى.

ولما كانت التربية محطة عوامل ومؤثرات مختلفة، فالنظام التعليمى بما يتضمنه من عمليات وتنظيمات وما يواجهه من مشكلات وقضايا يتأثر بطبيعة المرحلة التى يعيشها، غير أنه يتأثر فى نفس الوقت بعوامل ورثها عن الماضى، لذا فدراستنا للتراث التربوى تعين على فهم تطور التربية ومواجهة ومشكلاته بصورة أكثر وضوحاً وذكاء على أساس التعرف على العوامل والقوى الثقافية المؤثرة فى تشكيل المجتمعات .

من هنا فإن التخطيط للتعليم وتوجيهه والتعمق في مفاهيمه ومشكلاتها يستند إلى الأسس المتصلة بالتراث، حيث أن التعليم يعتبر جانباً متكاملًا من الثقافة التي ينتمى إليها، ينفعل بما فيها من قوى وبما انفعلت به من عوامل ومؤثرات، وقد يكون الخطر في النظر إلى التعليم على أنه وحدة مستقلة في كل مرحلة من مراحل التطور، أنه ببساطة عديدة يتأثر بأصوله الممتدة من الماضي، ودراستنا لتربية الإنسان بهذا المنظور تعنى مسؤولية جديدة وهي دراسة جذور مشكلات التعليم واتجاهاته، ووسائل مواجهتها في الماضي ومدى ملاءمة هذه الوسائل لطبيعة المرحلة التي يواجه فيها التعليم مسؤولياته.

ومن هذا المنطلق يرى التعليم نفسه من زاويتين :

**الأولى:** العناصر التي ورثها عن الماضي وأثر مقابلة القديم بالحديث في إيجاد مشكلاته .

**الثانية:** كيفية مواجهة الجماعات المختلفة في الظروف المختلفة للمشكلات المماثلة .

وعلى هذا النحو يرى التعليم نفسه أمام حتمية موضوعية، وهي أن يراجع نفسه في ضوء نظرته إلى أوضاعه على أنها متأثرة بماضيه، وعلى أن هذا الماضي متضمن في حاضره، ولا بد من فحصه دائماً تخفيفاً لمستقبل أفضل على ضوء حركة القوى الاجتماعية والاقتصادية وما بينهما من تناقض أو التقاء، وسجل لاشعوب هو تراثهم لا يستطيع التربويون إدارة ظهورهم له لأنه يزيد الفكر التربوي الحاضر ثراء، ولو فعلوا ذلك لقطعوا الصل عن المنبع وعن الجذور والمنبت، لذا يتحتم عليهم دائماً وباستمرار

العودة إليه والتعرف عليه لكونه إحدى قوى المجتمع، وجزءاً لا يتجزأ منه، يسير مع الأمة تطوراً وتقدماً أو تخلفاً وتدهوراً ينعكس على سياسة الحاكم وأيدلوجيته، ونظرة المجتمع وفلسفته، ونفسية المواطن وتكوينه، كل هذا ينعكس على أهداف التعليم فيحددها، ويضع لها المعايير ووسائل التنفيذ، وهذه بدورها تنعكس على مناهج وبرامج ومقررات النظم التعليمية وجميع مكوناته .

وإستقراء التاريخ بكل ما تضمنه من آراء ونظريات وفلسفات مع تجنب الخوض في تفاصيل الأحداث التاريخية الصرفة يجعلنا نتطلع إلى دلالة الأحداث عامة واثرها على التربية خاصة وهذا يجعلنا قادرين على تعلم ما سوف يحدث وما لا يمكن العودة إليه .

إذا نظرنا نظرة فاحصة عميقة إلى مشكلات حاصرنا التعليمي لأدركنا على الفور أنها امتداد للتجارب التربوية للأسلاف، وما هي إلا تراكمات تجمعت وبلورت هذه المشكلات في صورتها الراهنة، ولا يمكن التصدى للحلول دون الرجوع والبحث فيما اختزنه الماضى من تجارب هؤلاء السابقين لنا، وبهذه الطريقة يمكننا التوصل إلى تكيف حاصرنا ورسم مستقبلنا التربوى كما نحب ونرغب .

والحاجة التربوية العملى من الناحية الاجتماعية هي حسن إذاعة ونشر الحقائق النافعة طالما أن هناك حاجة لتنمية المعرفة وتوسيع نطاقها، ولا نكون قد تجاوزنا إذا قلنا أن تنمية المعرفة أسهل وأسرع من تنمية القدرات الفكرية .

وعملية نقل الثقافة من جيل فى تاريخ الإنسان الطويل هو بالدرجة الأولى قضية تعلم عن طريق التمثيل والاستظهار، أن بعض المجتمعات البشرية تعرفت على الثقافة بمعناها الحرفى، وليس بالمعنى الانثروبولوجى الشامل، أى التاريخ الطبيعى للإنسان - عن طريق التعلم الأصولى، تماماً كما يدرّب الحرفى أو المحارب على مهنته، وكما يلقن الكاهن الأسرار الدينية، أما فى عصر النهضة فقد تغيرت وظيفة المعرفة فى المجتمع فأصبحت منتظمة ومرتكزة على أساس التفزّع والبحث العلمى، كما أن العمل الوظيفى نفسه للمجتمع أصبح أكثر فأكثر على مجموعة معقدة وتجريبية من المعرفة معظمها تقنى وعلمى يلقن بطريقة أصولية .

ويحاول هذا الكتاب الاجابة عن سؤال واحد هو :

كيف عاش الإنسان فى الماضى - ولا نقصد بذلك كيفية العيش بالمعنى المادى فحسب - ولكن نقصد كيفية العيش بمعناها الواسع متضمنة وسائل لاقدرة على ضبط السلوك وتوجيهه توجيهاً صالحاً من خلال اختيار نمط معين من التربية

ويتفرع من هذا السؤال تساؤلات أخرى هى :

- أ- ما العوامل والقوى الثقافية التى شكلت لكل جماعة أو مجتمع فلسفتهم وحددت لهم ما يتناسب وخصائصهم القومية نوع تربيتهم ؟
- ب- ما الآراء والأفكار النظرية التى أثرت فى العقل البشرى للشعوب والمجتمعات وحددت لهم تطبيقاتهم التربوية .
- ج- ما القدر الكافى والمناسب من المعرفة التى اتخذها كل مجتمع أساساً لتكوين الإنسان من الناحية الفردية والاجتماعية ؟

د- ما الدروس المستفادة من تجارب الأسلاف ويمكن توظيفها في توجيه تعليمنا والتخطيط لمستقبل التربية؟

وفي ضوء ما أسلفناه، يمكننا إيجاز أهداف هذا الكتاب في الآتي :-

١- التعرف على ممارسة الأسلاف في كل زمان ومكان فيما يتصل بتربية الإنسان بهدف إبراز أوجه القوة ونواحي القصور والضعف في هذه الممارسات التربوية مع الأمام بالعضلة والعبرة والخروج بحكمة الحياة وفلسفتها، لأننا ببساطة شديدة نمثل ثمرة هذه الممارسات وتلك التنشئة بعيوبها ومميزاتها .

٢- تحليل العوامل والقوى التي أحدثت في كل مجتمع ما نسميه بالخصائص القومية National Characteristics وبالتالي نتمكن من رؤية حركة التربية دون عزلها عن البنية الاجتماعية والثقافية أو الأهداف السياسية والظروف الاقتصادية التي شكلتها وجعلتها تبدو بالصورة التي ظهرت عليها، كل ذلك بهدف التنبؤ بمسارنا التربوي مستقبلاً مع ربط هذا المسار بتطورنا الحضارى .

٣- كما يهدف هذا الكتاب إلى الوقوف على الحلول التي ارتاها الأسلاف لمشكلاتهم التعليمية، وبالتالي يمكن الكشف عن القوى المحركة للنظريات التربوية وتطبيقاتها، وهذه في حد ذاتها لها قيمة في تعميق الجانب المهني للمعلمين وإكسابهم جانباً هاماً في حاجة إليه لنموهم المهني ونعنى به الجانب الثقافي .

وإستخدام الباحثان المنهج التاريخي وهو المنهج الذى يستخدمه الباحثون فى تشوقهم لمعرفة الأحوال والأحداث التى مرت فى الماضى، وهو

منهج لا يقتصر على مادة التاريخ فقط بل هو صالح للاستخدام في مجالات متعددة منها مجال التربية والتعليم بهدف أحياء خبرات البشرية الماضية بطريقة لا نقاش على الأحداث والأحوال الواقعية لتلك الأزمنة.

والتاريخ يشير إلى الظروف التي ظهرت في ظلها أشكال اجتماعية معينة، وهو يهتم بالزمان والمكان والموقف، ويمكن للبحث التاريخي أن يكشف عن المعلومات التي تسمح لنا باستنتاج معين عن العلاقة الضرورية بين الزمن والموقف والطرائق التربوية .